حرية الصحافة و عقدة الخواجة

2-2

تأسيساً على ما تقدم يمكن القول إنّ الديمقراطية هي مدرسة لتعلم قيم الحوار والنقاش والاختلاف في إطار التعايش السلمي لكافة مكوّنات المجتمع المدني، وهو ما لا يمكن تحقيقه من دون ضمانات وضوابط دستورية أو قانونية تنظم وتحمي الحريات والحقوق المدنية من خطر الاستبداد بما هو سلوك عدواني ينتهك الحريات والحقوق المدنية سواء جاء هذا السلوك من قبل السلطة وأجهزتها أو من داخل المجتمع المدني نفسه حيث يُعد سوء استخدام الحرية شكلاً من أشكال العدوان عليها وانتهاك قيمها، الأمر الذي يعلي من أهمية ودور سلطة القانون في تنظيم العمليات الديمقراطية في إطار دولة المؤسسات الخاضعة لسلطة القانون.

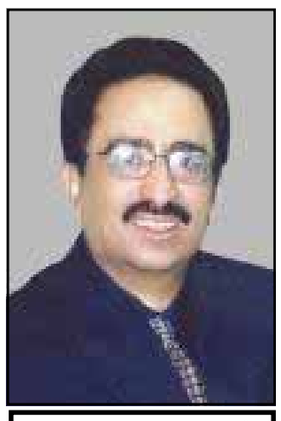

أحمد الحبيشي

والثابت أنّ الديمقراطية لا تكون مدرسة للتعلم من دون أن تكون هيئات الدولة الدستورية والتشريعية والتنفيذية المنتخبة وهيئات المجتمع المدني كالأحزاب والمنظمات غير الحكومية والصحافة ووسائل الإعلام الحرة مدارس للتعلم أيضاً، وهو ما لا يمكن تحقيقه في ظل سيادة الفردية والعشوائية والفوضى.. فالأحزاب الخاضعة لسلطة النخب العائلية والقبلية والشللية لا تصلح لأن تكون مدارس لتعلم قيم الحرية والديمقراطية، وبالقدر ذاته فإنّ الصحف الخاضعة للإدارة الدكاكينية والفردية، والعشوائية والمنفلتة من سلطة القانون والقيم المهنية، لا تصلح لأن تكون مدارس لتعليم الصحافيين العاملين فيها قيم الحوار والاختلاف والنقاش، وإكسابهم مهارات وخبرات مهنية خصوصاً عندما ترتبط فوضى إصدار الصحف بتسلل الأدعياء والدخلاء على الصحافة إلى جانب سوء استخدام الحرية من خلال توظيفها إلى أداة للابتزاز والكذب والتلفيق والقذف والتكفير والتخوين والإساءة إلى الكرامة الشخصية للمواطنين.

الصحف الخاضعة للإدارة الدكاكينية والفردية، والعشوائية، والمنفلتة من سلطة القانون والقيم المهنية، لا تصلح لأن تكون مدارس لتعليم الصحافيين العاملين فيها قيم الحوار والاختلاف والنقاش وإكسابهم خبرات مهنية خصوصاً عندما ترتبط فوضى إصدار الصحف بتسلل الأدعياء والدخلاء على الصحافة إلى جانب سوء استخدام الحرية من خلال توظيفها إلى أداة للابتزاز والكذب والتلفيق والقذف والتكفير والتخوين والإساءة إلى الكرامة الشخصية للمواطنين.

ويزيد من خطورة هذه الظواهر التي تبرز عادة في مراحل الانتقال إلى الديمقراطية غياب الحقوق القانونية للصحفيين العاملين في وسائل الإعلام الحزبية والخاصة التي تعتقد أنّها فوق القانون الذي ينظم حقوق وواجبات كافة هيئات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني والأفراد والجماعات في إطار المواطنة المتساوية حيث يعمل الصحفيون والفنيون والموظفون بدون عقود عمل تحمي حقوقهم المهنية المشروعة ، سواء في المؤسسات الصحفية الحزبية والخاصة او الصحف الدكاكينية.

بوسعنا القول إنّ الواقع السياسي في بلادنا لا يخلو من النجاحات والأزمات والتناقضات والمصاعب بما هي نتاج موضوعي للعملية الديمقراطية التي بدأت بإرادة وطنية مستقلة ومن دون إملاءات خارجية قبل حوالي ستة عشر عاماً منذ قيام الجمهورية اليمنية في الثاني والعشرين من مايو ١٩٩٠م.. ولا يمكن تطوير النجاحات ومعالجة هذه الأزمات والتناقضات والمصاعب بدون إعادة اكتشاف الواقع من خلال دراسة وتحليل مصاعب التطور نحو الديمقراطية، وهو ما تعجز عن تحقيقه المراهنات الخاسرة على التدخلات الخارجية التي تعتمد دائماً مبدأ إسقاط القوالب الجاهزة ومعايير الديمقراطية الأميركية والدنماركية والأوروبية على أوضاع متخلفة في بلدان الديمقراطيات الناشئة التي تنتج موضوعياً أدواتها الخاصة على نحو يجعلها في حال تصادم مع النمذجة والقولبةالوافدتين من خارجٍ الواقع!

من نافل القول إنّ ثمة ميولاً عالمية للهيمنة برزت بعد انتهاء الحرب الباردة حيث برزت نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتجتون ونظرية نهاية التاريخ لفرنسيس فوكوياما اللتان شكلتا إطاراً أيديولوجياً للميول التي ارتبطت بتحول الليبرالية إلى مذهب محافظ جديد بعد أن أدى غياب الشيوعية كخطر يهدد الديمقراطية الليبرالية إلى تضاؤل دور ومكانة يسار الوسط في الديمقراطية الليبرالية وتنامي دور وتأثير ما تسمى الليبرالية الجديدة بمذهبها المحافظ الجديد.

والحال أنّ التحول نحو الديمقراطية، وتوسيع المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أضحى مطلباً موضوعياً في العديد من بلدان العالم وخصوصاً البلدان المتخلفة والنامية التي انغلقت على نظم شمولية مرنة أو استبدادية مطلقة، وبقدر ما وجدت هذه البلدان والمجتمعات في انتهاء الحرب الباردة وما رافقها من استقطابات أيديولوجية وعسكرية واقتصادية وأمنية مناخاً جديداً لإطلاق ميكانيزمات النمو والتحديث التي تساعدها على استخدام الحريات السياسية والاقتصادية كحوافز للتنمية والتطور واللحاق بالحضارة الحديثة، بقدر ما اصطدمت بنزعات الهيمنة التي عبرت عنها الليبرالية الجديدة ومذهبها المحافظ الجديد من خلال سعي قوى الهيمنة إلى تصدير نماذج وقوالب جاهزة للديمقراطية على نحو يعرقل تقدم هذه البلدان على طريق التطور الديمقراطي والاقتصادي الطبيعي.

وإذا كانت الوصفات الجاهزة التي اعتادت المؤسسات المالية والنقدية الدولية على تصديرها بواسطة الضغوط السياسية والاقتصادية والتجارية إلى البلدان المتخلفة والنامية في إطار الإستراتيجية المسماة إعادة التكيف والتثبيت الهيكلي والإصلاح الاقتصادي بهدف فرض معايير الإدارة الاقتصادية والاجتماعية المناهضة لوظائف الدولة في البلدان الصناعية المتقدمة على الدول النامية والفقيرة التي تضطلع الدولة فيها بوظائف حيوية لا يمكن الاستغناء عنها ، فإن ثمة وصفات جاهزة أخرى تصدرها مؤسسات سياسية دولية بهدف تسويق معايير الممارسة الديمقراطية في الدول المتقدمة ونقلها بصورة ميكانيكية إلى البلدان المتخلفة عبر بعثات تبشيرية في صيغة معاهد وبرامج للتدريب والتأهيل والتمويل من خلال الإستراتيجية المسماة ببرامج المساعدة على تنمية الديمقراطية، وفي مقدمتها برنامج نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط الجديد الذي ترعاه وتموّله الإدارة الأمريكية والبرنامج الدنماركي الذي يموله الاتحاد الأوروبي!!.

لا نبالغ حين نقول إنّ الليبرالية الجديدة ومذهبها المحافظ الجديد وما تنطوي عليه من ميول للهيمنة أوجدت تناقضات في البلدان المتطورة نفسها خصوصاً بعد اكتساب نزعات الهيمنة الاقتصادية أبعاداً عسكرية تحت تأثير أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، وتدشين الحرب العالمية على الإرهاب، حيث برزت معايير متعددة في ممارسة الديمقراطية، وقد تجسدت هذه التناقضات في تصادم مصالح دول الاتحاد الاوروبي التي سعت إلى التمسك بمعايير الحرية المطلقة مقابل الولايات المتحدة وبريطانيا اللتين سعتا إلى إعلاء أولوية الأمن على الحرية.

وجاءت أزمة الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام مؤخراً ، لتوسع دائرة هذا الصدام من خلال بروز إشكاليات الموازنة بين معايير الحرية ومعايير المسئولية إلى جانب إشكاليات الموازنة بين معايير الحرية ومعايير أولوية الأمن، في مجرى الحرب العالمية على الإرهاب.

من نافل القول إنّ الواقع السياسي في اليمن يواجه أزمات وتناقضات بسبب تفاقم سوء استخدام حرية الصحافة وانفلات معاييرها وبروز الدعوات التي تطالب بإلغاء قانون الصحافة واستبداله بميثاق شرف على نحوٍ ما جاء في رؤية بائسة تقدمت بها أحزاب «اللقاء المشترك» خلال هذا الشهر، ولا يمكن فصل هذه الأزمات والتناقضات عن التدخلات الخارجية التي تحفز على الاستقواء بالأجنبي والتهافت على ما تسمى ببرامج نشر الديمقراطية وفق المعايير الخارجية التي تسعى الليبرالية السياسية اليمنية الجديدة إلى فرضها على بلدان الشرق الأوسط بشكل خاص ، وبلدان الديمقراطيات الناشئة بشكل عام ، بهدف جعل التحول الديمقراطي في هذه البلدان جزءاً من إستراتيجية إعادة هيكلة المجتمع الدولي وبناء نمط جديد من العلاقات السياسية والاقتصادية والأمنية الدولية بما يخدم نزعة الهيمنة التي تعد الشكل الأبرز للمذهب المحافظ الجديد على الصعيد العالمي.

وإذا كانت برامج المساعدة التي تصدرها الولايات المتحدة وأوروبا لا تخلو من النزوع نحو الاستقطابات إلا أنّها واجهت مصاعب في أوروبا الشرقية والبلقان وكوريا الجنوبية وأمريكا اللاتينية، كما أنّها تواجه فشلاً مدمراً في الشرق الأوسط وأفريقيا ، الأمر الذي أدى إلى إفلاس الإطار الأيديولوجي لليبرالية السياسية اليمينية ومذهبها المحافظ الجديد من خلال اعتراف فرنسيس فوكوياما في مقال نشره بمناسبة الذكرى الثالثة لغزو العراق بأنّ الولايات المتحدة لا تستطيع أن تقرر أين ومتى ستحصل الديمقراطية ؟، ومؤكداً على أنّه لا يمكن للغرباء الأجانب ، أن يفرضوا الديمقراطية بما هي عملية طويلة المدى يجب أن تنتظر النضج التدريجي للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وهو ما تحتاجه المجتمعات المتحولة ، لترشيد الممارسة الديمقراطية ومعالجة تناقضاتها ومصاعبها من خلال معايير واقعية لا معايير ونماذج جاهزة خارجية يتم تصديرها عبر برامج تربوية وبعثات تبشيرية !!

المتابع للتطرف الملحوظ في موقف نقابة الصحفيين اليمنيين التي تسيطر عليها أحزاب «اللقاء المشترك» لجهة الرفض المطلق لمشروع قانون الصحافة والمطبوعات الجديد إلى جانب، التشدد في المطالبة بحرية لا حدود لها بعيداً عن أية معايير أو ضوابط قانونية ومؤسسية ، سيلاحظ مدى تأثر هذا التطرف بالبرنامج الدنماركي الذي يتولى تأهيل نقابة الصحفيين اليمنيين وأحزاب «اللقاء المشترك» للتعاطي مع قوالب ديمقراطية جاهزة وفق المعايير الأوروبية.

لا ريب في أنّ الأزمة الناشئة عن نشر رسوم كاريكاتيرية مسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام أسفرت عن تصادم معايير حرية التعبير في الدنمارك وأوروبا عموماً مع معايير حرية التعبير في بلدان ديمقراطية أخرى من بينها الديمقراطيات الناشئة في الشرق الأوسط والعالم العربي الإسلامي عموماً.

وبوسع المتابع للتطرف الملحوظ في موقف نقابة الصحفيين اليمنيين التي تسيطر عليها أحزاب اللقاء المشترك لجهة الرفض المطلق لمشروع قانون الصحافة والمطبوعات الجديد إلى جانب، التشدد في المطالبة بحرية لا حدود لها بعيداً عن أية معايير أو ضوابط ، أن يلاحظ مدى تأثر هذا التطرف بالبرنامج الدنمركي الذي يتولى تأهيل نقابة الصحفيين اليمنيين وأحزاب «اللقاء المشترك» للتعاطي مع قوالب ديمقراطية جاهزة وفق المعايير الأوروبية، وهو واحد من برامج المساعدة الأجنبية التي سخر منها فوكو ياما بما هو المرجع الذي وضع الإطار الأيديولوجي لليبرالية الجديدة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي من خلال أطروحته الشهيرة "نهاية التاريخ" حيث حذر في مقالته الأخيرة التي أشرنا إليها سابقاً من الوهم بإمكانية صناعة الديمقراطية والإصلاحات بدون أن تكون بناء على إرادة داخلية، مؤكداً على أنّ إرساء الديمقراطية في الشرق الأوسط سوف يتحقق بواسطة عملية طويلة المدى تنتظر نضجاً سياسياً واقتصادياً تدريجياً لتكون فاعلة.

نقلاً عن/ «٢٦ سبتمبر»

الواقع السياسي في اليمن يواجه أزمات وتناقضات بسبب تفاقم سوء استخدام حرية الصحافة وانفلات معاييرها وبروز الدعوات التي تطالب بإلغاء قانون الصحافة واستبداله بميثاق شرف على نحوٍ ما جاء في رؤية بائسة تقدمت بها أحزاب اللقاء المشترك خلال هذا الشهر، ولا يمكن فصل هذه الأزمات والتناقضات عن التدخلات الخارجية التي تحفز على الاستقواء بالأجنبي والتهافت على ما تسمى ببرامج نشر الديمقراطية وفق المعايير الخارجية التي تسعى الليبرالية السياسية اليمنية الجديدة إلى فرضها على بلدان الشرق الأوسط وبلدان الديمقراطيات الناشئة.

فوكوياما .. الخطأ والصواب

ساره باكثير

عندما كان فرنسيس فوكوياما لا يزال شاباً في الثلاثين من العمر، مشغوفاً بالسياسة، يعمل في وزارة الخارجيّة الأميركيّة، فاجأ الجميع بنظريّة جعلت منه مثقّفًا ذائع الصيت. إذ قام بكتابة مقالة مهمّة جدًا تحت عنوان "نهاية التاريخ" نشرت في صحيفة محليّة. أحدثت مقالته هذه ضجّةً كبيرة في عالم الأكاديميين. فقد كتب فوكوياما في مقالته الشهيرة: "ما نشهده اليوم لا يشكّل نهاية الحرب الباردة وحسب أو مجرّد مرحلة انتقاليّة وإنّما نشهد نهاية التاريخ. فنحن نقف عند نقطة نهاية التطوّر الايديولوجي الإنساني وعولمة الديمقراطيّة الليبرالية الغربيّة المتمثّلة بالحكومة الإنسانية".

كان ذلك في صيف ١٩٨٩ يوم كان حائط برلين على وشك السقوط. ومن ثمّ اندلعت ثورة أوروبا الشرقيّة غير المتوقعة وتبعها سقوط الطاغية السوفياتي. فسنحت الفرصة لفوكوياما أن يجمع أفكاره في كتاب أصبح فيما بعد من أكثر الكتب مبيعًا على الصعيد العالمي. وقد شكّل فوكوياما بخلفيّته الأميركيّة اليابانيّة الوسيلة الفضلى لنشر نظريّته. ومن المفترض أن تكون مارغريت تاتشر قد قالت في وقت سابق: "نهاية التاريخ؟ بداية اللامعنى" ولكن كان من المذهل رؤيته يصدق في توقعاته.

هذا ما يردده الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش مراراً وتكراراً للمقاومين العراقيين فهم لم يحققوا شيئًا بعد من البرنامج المحدّد لهم باستثناء بعض العمليّات الانتخابيّة. وكذلك الأمر بالنسبة لفوكوياما الذي رأى في حرب العراق غلطة جسيمة.

وبعد مرور شهر على سقوط الرئيس العراقي السابق صدام حسين في العام ٢٠٠٣ قام فوكوياما بتناول طعام الغداء مع صديق أميركي له كان من مؤيدي خلع الرئيس العراقي السابق. وقال فوكوياما في ذلك : "راهنت معه على أنّه في خلال خمس سنوات ستفلت زمام الأمور وأتوقّع أن أكتب عن ذلك".

وقد يتنبّأ البعض بأنّ فوكوياما سينضمّ إلى جوقة جورج بوش المتفائلة بالديمقراطيّة والمؤيدة لها. فلسنوات مضت قام فوكوياما بالانخراط في صفوف الأخوان الذين يشكّلون جماعة المحافظين الأميركيين الجدد أي المثقفين الملتزمين تغيير النظام في العراق.

وتجدر الإشارة إلى أنّ فوكوياما قدّم إلى بيل كلينتون في العام ١٩٩٨ رسالة موقّعة باسم مشروع القرن الأميركي الحديث الذي يتولاه المحافظون الجدد، حثّ فيها الرئيس الأميركي السابق على الإطاحة بصدّام وذلك قبل أن يبدأ الأميركيّون بالتعبير عن أفكارهم وآرائهم حيال هذا الموضوع بوقت كثير. وكان دونالد رامسفيلد وبول وولفوتز من الأشخاص الذين وقعوا على هذه الرسالة والذين سعوا إلى الحصول على موافقة البنتاغون على الاجتياح من دون علم بوش.

وكذلك وقّع فوكوياما رسالة مشابهة بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ ، كما كتب في صحيفة "وول ستريت" مقالة بعدما اجتاحت الدبابات شوارع بغداد واصفًا فيها الاحتفال بسقوط صدّام "بالاحتفال المحقّ". وكان فوكوياما يبدو حتّى هذه اللحظة على وفاق تام مع أصدقائه.

في هذا السياق قال فوكوياما: "من لا يحتفل بهكذا حدث؟ مع العلم أنّه لطالما كان يغذّي الشكوك بصحّة الاجتياح الذي بات الآن واقعًا ملموسًا".

ثم أضاف بنبرة صارمة: "لقد ارتديّت".

فلقد انفصل فوكوياما بشكل نهائي عن المحافظين الجدد لأنّه رأى في حرب العراق خطأ فادحًا نظريًا وعمليًا على خلاف المحافظين الجدد الذين لم يقتنعوا بذلك حتّى الساعة، رغم كلّ سيئاتها.

وتابع قائلاً: "كذابون، معظمهم يدرك أنّ القضيّة التي يدعمونها لم تحقق شيئًا وهم ما زالوا يؤمنون بحدوث أمر من شأنه أن يغيّر مسار الأمور".

في الواقع، فوكوياما هو متحدّث لبق ذو صوت منخفض يصعب سماعه أحيانًا لكن في كتاباته هو واضح وصريح ويتمتّع بصوت جهوري. ففي كتابه الجديد "بعد المحافظين الجدد" الذي نشر هذا الأسبوع، كتب فوكوياما: "لقد استخلصت أنّ نظريّة المحافظين الجدد بلغت حدًا لم يعد بمقدوري تقديم الدعم له". وبعدما راجع فوكوياما مفكرة مواعيده، استقبلني أخيرًا في مكتبه الصغير الذي يعجّ بالكتب في جامعة "جون هوبكنز" في واشنطن حيث يدرّس مادة الاقتصاد السياسي الدولي. إذ يصعب العثور عليه كأيّ فيلسوف مشهور عالميًا.

وقد بدأت شكوك فوكوياما حول مشروع المحافظين الجدد تتبلور في بريطانيا منذ بعض الوقت.

قال فوكوياما: "أذكر أنّي صعقت بعدم الشعور بالسعادة الفعليّة مع الولايات المتحدة. فأحد الأخطاء التي اقترفها الشعب الأميركي هو إساءة الحكم على هذا الشعور. إذ كان من السهل جدًا تصنيفه في الخانة المعادية لأميركا إلا أنّني كنت أسمع ذلك من أفراد يُعتبرون أصدقاء لأميركا".

ومن الجدير ذكره أنّي أخبرت فوكوياما أنّ نهاية التاريخ من الممكن أن تكون قد أثّرت على بليير الذي من المحتمل أن يكون قد تنشقها مع مميّزات تلك الحقبة من دون أن يكون قد قرأها حتّى.

أرى أنّ ثمّة عدداً قليلاً من المؤمنين البارزين أكثر من رئيس وزرائنا في التطبيق الكوني للديمقراطية الليبرالية. هذا وقادت قطاعات التطهير العرقي في الجمهوريّة اليوغوسلافية السابقة في التسعينات العديد من المعلّقين إلى الصراخ عاليًا "أي نهاية تاريخ؟" في ظلّ ديمقراطية بلير التي بلغت بلاغة بفضل كياسة الجنود الأميركيين والبريطانيين.

ورغم ذلك كانت تلك الحرب ناجحة. بالنسبة لفوكوياما حرب العراق حرب سيّئة وهو لا يهتمّ لاقتراحاتي القائلة بأنّه ساهم بشكل غير مباشر بالتدخل البريطاني فيها. ويعتقد بلير أنّه أصبح "محافظًا جديدًا فخريًا" يحاول خداع نفسه من خلال التفكير بأنّه يمكن فرض الديمقراطية بسرعة البرق. إلا أنّه لم يقصد ذلك عندما تكلّم عن نهاية التاريخ التي اتخذت رؤية أخرى تختلف اختلافًا كليًا عن العثرات التي تواجه الفرد في وجهته الأخيرة.

قال فوكوياما: "مع بلير من الصعب جدًا التنبؤ بما يعتقده مقارنةً مع ما حسب له حساباً في مصالحه الخاصة. من المؤكد أنّه أراد المحافظة على علاقة طيّبة مع الولايات المتحدة ومن ثمّ أقنع نفسه أنّ الحرب مهمّة تاريخيًا".

فرنسيس فوكوياما

ويتابع فوكوياما: "أمر مماثل حصل مع بوش. فعندما انتخب رئيسًا صرّح أنّه يملك سياسة خارجيّة متواضعة وهاجم عمليّة بناء الدولة ومذاك أقنع نفسه بذلك".

يشعر فوكوماياً بالإحباط نظرًا لتبدّل الأحداث. ويقول في ذلك: "صوتت لبوش في العام ٢٠٠٠ تحديدًا على أمل أن يتمكّن عدد كبير من أصدقائي من إدارة السياسة الخارجيّة بشكل أفضل ممّا فعله مناصرو كلينتون سابقًا. لذلك استحال الأمر خيبة أمل كبيرة. فلقد انقلب كلّ شيء رأساً على عقب".

وتجدر الإشارة إلى أنّ فوكوياما كان في الأساس ضدّ أيّ حرب وقائيّة عملاً بقول بسمارك "فهي كمن ينتحر هربًا من الموت". إلا أنّ اندلاع هذه الحرب شكّل له صدمة كبيرة. والأمر سيّان عندما توجه الملامة لصديق بسبب فشل ذريع. وأضاف "لست مصدوما وحسب بل أشعر بالاشمئزاز الكلّي من مستوى عدم الاحتراف لديهم. فإن كنت تريد أن تتطوّع لمنصب المهيمن الفردي مشيرًا بذلك إلى الولايات المتحدة كونها القوّة العظمى الوحيدة، فمن المستحسن أن تكون جيدًا في ذلك".

ويردف فوكوياما أنّ زوجته لورا هولمغرين الحائزة شهادة في الدراسات السوفياتية وهي أمّ لثلاثة أولاد كانت ضدّ الحرب في العراق من البداية. وفي هذا السياق يقول فوكوياما إنّ زوجته بدأت كمحافظة جمهوريّة وانتهى بها الأمر تكره بوش كرهًا شديدًا. ومن الجدير ذكره أنّ فوكوياما يقدر إلى حدّ بعيد قدرة زوجته على النظر أبعد من ولائها.

وكان لفوكوياما علاقات أخرى متينة مع أفراد من المحافظين الجدد. ومن بين ناصحيه ومعلّميه نذكر أيضًا المحارب الذي يتمتّع بدم بارد ألبرت وهلستيتر الذي يضع وولفوفيتز ومستشار البنتاغون السابق ريتشارد بيرل إضافةً إلى السفير الأميركي في العراق زلماي خليل زاد تحت رعايته.

يعرّف تحديد النظرية المحافظة الجديدة المحافظين الجدد "بالليبراليين الذين أخافتهم الحقيقة". ويتساءل فوكوياما عن سبب عودتهم إلى النظرة اللينينيّة للتاريخ.

فإن كانوا قد فقدوا الثقة في محاولات الإتحاد السوفياتي الهادفة إلى بناء مجتمع فكيف بإمكانهم أن يتخيلوا أنّ مجتمعًا معقّدًا بتركيبته الإجتماعيّة كالمجتمع العراقي يمكن إعادة هيكليّته على أسس الديمقراطيّة؟ ربّما هذا وحي نابع من الكتاب.

قبل أن ألتقي فوكوياما استمعت إلى مناقشة دارت في واشنطن بينه وبين كريستول والفيلسوف الفرنسي اللامع برنار-هنري ليفي. كانوا جميعًا دمثي الأخلاق ولطفاء لا سيّما ليفي الذي كان يقول باستمرار عزيزي فرنسيس وعزيزي وليام. لكن ملامح السأم بدت بوضوح على وجه كريستول الأنيس الذي ضاق ذرعًا من تصنيفه في خانة اللينينيين. ويضيف كريستول أنّه قد يكون من الجيد أن نعيش في عالم خال من المجاهدين حيث لن نكون مضطرين لأخذ أعداء الديمقراطيّة الليبراليّة على محمل الجدّ. "أن نحكم هو أن نختار وأن نتحمّل بالتالي مسؤوليّة اختياراتنا. أن نحكم لا يعني بالضرورة أن ننتظر نهاية التاريخ".

فوكوياما ينظر إلى قوّة المجاهدين بشكل مختلف تمامًا وهو يرى في أحداث ١١ أيلول ضربة حظّ وهو يقول في هذا السياق: "من المحتمل أن يمتلك المجاهدون قنبلة نوويّة لكن سيناريو واحداً أدى إلى موجة خوف عارمة". ويعبّر فوكوياما عن رغبته برؤية العديد من المؤسسات المتعددة الجنسيّات، كما يدعوها هو، تدعم عمل الأمم المتحدة الهادف إلى ممارسة الضغط الدولي.

بالنسبة الى حظوظ نجاح العمليّة في العراق في وقت مبكر جدًا يقر "بأنّه من غير الناضج التنبؤ بما ستؤول إليه الأمور". ويتابع: "ليس من الواضح ما إذا ستكون النتيجة النهائيّة سليمة أم لا. فمن المحتمل أن يستحيل العراق ديمقراطيّة لكنّ السببيّة ستكون مخيفة جدًا".

بتعبير آخر، إذا انقلبت الأمور في العراق إلى الأفضل، فالتاريخ سيذكر ذلك على أنّه حصل رغم، لا بفضل، الجهود الحثيثة التي بذلها كلّ من بوش وبلير. هذا يبدو مجحفًا بالنسبة لي لكن لفوكوياما هذا أمرٌ لا مفرّ منه. فهو يعتقد أنّه سواء ربحوا رهان التاريخ أم خسروه، يجب محاسبة أبطال الحرب لأنهم كانوا السبب في اندلاعها.عن "التايمز"

من هو؟

ترعرع فوكوياما الذي يبلغ الآن ٥٣ سنة من العمر في مدينة نيويورك حيث كان والده قسّاً بروتستانتيًا وناشطًا في الحقوق المدنيّة ذا ضمير اجتماعي حيّ. نشأ الصبي على خطى والده وكان مستقيم الصراط . وفي هذا السياق يقول فوكوياما: "لقد اختلفنا كثيرًا حول المواضيع السياسيّة".

ويصف نفسه "بالوليد الجامعي" ويعتقد انّه ربما يكون قد ورث عن جدّه، مؤسس قسم الاقتصاد في جامعة كيوتو في اليابان، شغفه للعلم. هاجرت أمّه إلى أميركا في العام ١٩٤٩ وأصبحت عاملة اجتماعيّة ناشطة في مدينة نيويورك.

فرانسيس بطالع الأدب الكلاسيكي في جامعة كورنيل حيث استمع إلى محاضرة ألقاها ألين بلوم، تلميذ الفيلسوف ليو شتراوس، حول جمهوريّة أفلاطون. وتجدر الإشارة إلى أن أفكار شتراوس الثقافيّة هي النقطة المشتركة بين جميع المحافظين الجدد لاسيّما وولفوفيتز الذي صادف أن التقى فوكوياما في كورنيل وقدّم له وظيفةً في السنوات الأولى من ولاية ريغين.

ومن الجدير ذكره أنّ الرجلين لم يتبادلا الكلام منذ وقت. ويقول فوكوياما في ذلك: "أعتقد أنّه يشعر ببعض السأم".

فوكوياما هو من خريجي جامعة هارفارد التي بنى فيها صداقة متينة مع وليام كريستول الذي أصبح في ما بعد قوّة مشروع القرن الأميركي الحديث الدافعة. وهو رئيس تحرير الصحيفة المحافظة الجديدة THE WEEKLY STANDARD التي تمتلكها NEWS COR-PORATION مالكة صحيفة THE SUN-DAY TIMES . ويذكر أنّ فوكوياما ورث عن كريستول شقّته الجامعيّة ويقول في ذلك: "كان من الصعب الحصول على شقّة مماثلة".

وكان والد وليام، إيرفانغ كريستول، من مؤسسي النظريّة المحافظة الجديدة وواحداً من نخبة العاملين المثقفين في نيويورك في الثلاثينات الذين تجذبهم نظرية تروتسكي ويثير فيهم ستالين الاشمئزاز. ويذكر أنّ والده التزم مكافحة الشيوعيّة في مرحلة ما بعد الحرب.

جائعون .. لا تطعمهم الأيديولوجيا!

يوسف الديني

عقد بمدينة إشبيلية المؤتمر الثاني للأئمة من المسلمين ورجال الدين اليهود من أجل السلام، وكان هذا اللقاء مفاجئاً جداً على مستوى الحوار الشخصي بين أفراده بشكل غير مسبوق في مثل هذه المؤتمرات التي تأتي في غالبها ضمن إطار «الدبلوماسية الرخوة» التي تحاول أن تقفز على الواقع المعقد بمجاملات من الطرفين.

اللافت في هذا المؤتمر ووفقاً لتقرير لوكالة الأنباء الفرنسية أن مستوى الحديث عن الواقع كان عالياً وشفيفاً للحد الذي وصلت فيه صراحة إمام فلسطيني شارك في مجموعة عمل «شعبان وأرض مشتركة» إلى درجة فاجأت الحضور حيث قال بالحرف الواحد ! «أننا جائعون في غزة. أطلب من الحاخامين التحدث عن السلام مثلما أفعل كل يوم جمعة في مسجدي». وفي المطعم المخصص للمشاركين، اقترب الحاخام الأميركي جوزف ايزنكرانز من الناطق باسم «هيئة العلماء الفلسطينيين» عبد الرحمن عباد، وقال له: «أفهم معاناتكم»، فأجابه عباد: «ليس لديك أي تصور عنها»، ثم تعانقا.

من جانبه كان المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسسكو» عبد العزيز عثمان التويجري: واقعياً حين صرح بقوله «لا يمكننا تسوية مشكلات العالم في مؤتمرين»، بغض النظر عما يشوب مثل هذه المؤتمرات من السلبيات الكثيرة فإن ما لفت نظري هو كمية الحديث عن «المستقبل» هذا المارد المجهول.. فلا شك أنه كلما ازدادت الحياة تعقيداً وعنتاً وتغيرت مجرياتها نحو الأسوأ على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ عظم خوف الإنسان من المستقبل وتقلصت آماله الممتدة بامتداد الأمنيات الحالمة لتصبح مجرد محاولات يائسة لضمان العيش بسلام.

تلك الرهبة من المستقبل المجهول لها ما يبررها بشرط أن ترتبط باستراتيجيات فاعلة للتحول إلى المستقبل والعيش في آفاقه الرحبة والوقوف على أرضيته كمؤثر فيه منتج لأحداثه ولا أقل من السعي لذلك لتحقيقه على أرض الواقع عبر خطوات واثبة تسعى للأخذ بأسباب التغيير دون الاكتفاء برسم لوحة جذابة لشخصه. ثمة حقيقة تترسخ على أرض الواقع يوماً بعد يوم وهو أهمية دور «الظاهرة الإسلامية» ممثلة في التيارات الإسلامية والعلماء والدعاة والمصلحين والجمعيات الخيرية في العالم الإسلامي، باعتبارها الأقدر على التأثير لما تمتلكه من قاعدة شعبية كبيرة ورصيد ممتلئ بالنجاحات الكبيرة في قضايا الإصلاح والسلوك الاجتماعي والتربية.. الخ.

لكن التأمل في منجزها يؤكد حقيقة أخرى لا تقل عن أختها وهي أن هناك بوناً شاسعاً وفجوة كبيرة بين النظرية والتطبيق لدى الظاهرة الإسلامية في ما يتعلق بالمستقبل وكيفية التأثير فيه.

وبعيداً عن تلمس الأسباب الخارجية التي يكثر الحديث عنها مع أنها تمثل نسبة قليلة مقارنة بالأسباب الداخلية المتعلقة ببنية الظاهرة الفكرية وتمظهراتها على أرض الواقع، فإن الحديث عن الأسباب الداخلية يبقى الأنفع والأكثر عملية لا سيما أنه يرتبط بالمفهوم القرآني في مثل هذه الحالة «قل هو من عند أنفسكم». وفي اعتقادي أن أكبر الأسباب في خلق هذه الفجوة هو غياب التفكير الاستراتيجي للعقل المسلم في التعامل مع المستقبل بواقعية من خلال إعادة تشكيل أنماط التفكير وآليات العمل والفعل، إضافة إلى الوعي بالأولويات التي تأتي في أول القائمة من مثل التحديات المتعلقة بالتحولات السكانية ومواد الطاقة الإنتاجية والنمو الاقتصادي ومسائل الإسكان والتعليم والصحة مما يدخل تحت مسمى التنمية.

ولا شك أن نحت مثل هذه العقلية وتشكيل ملامحها مبني على حقيقة لا تبدو واضحة لدى الكثير ممن يسعون للتغيير والإصلاح، لأنهم يظنون واهمين أنهم إزاء نموذج للتعامل مع المستقبل والتنمية معد سلفاً، أو يمكن استحضاره من تاريخنا وتراثنا جملة وتفصيلاً، حتى تلك التفاصيل الدقيقة التي أفرزها الواقع المتجدد وأن ليس علينا سوى الاجتهاد في التطبيق والامتثال...!

والمؤسف اعتبار أي نظرة عداء هذه على أنها اتهام للإسلام بأنه غير صالح لكل زمان ومكان، وزعم أنه لا يمتلك الحل.! ولا ريب أن هذا خلل كبير في الفهم وتبسيط متناه للمسألة. وهو من جهة أخرى مبني على عدم الوعي بطبيعة الوحي وخصائص الشريعة الإسلامية وأن سر تميزها يكمن في كونها مطلقة غير محدودة الزمان فهي تعنى برسم المبادئ والكليات والقواعد التي تكفل صلاح الفرد والمجتمع في أمر دينه ودنياه. هل يمكن للعقل المسلم أن يخرج من قمقمه وهو يصر على أن يستلهم صباح مساء في تفكيره ونظرته لمن حوله تلك المقولة التي تمثلها زمان الضعف والذبول الحضاري التي عبر عنها الإمام الطرطوشي بقوله «ذهب صفو الزمان وبقي كدره».. ما سبق حديث عن الطرف الذي يعنيني أمره بالدرجة الأولى وهو «الخطاب الإسلامي» الذي يتسيد المشهد العربي والإسلامي. ومن دون إصلاح حقيقي لهذا الخطاب فسنظل نحرث في الريح ..!

نقلا عن صحيفة / ((الشرق الاوسط))